

العنوان: المؤثرات الفكرية على التنشئة الأسرية و سبل مواجهتها : تيارات
الداروينية الاجتماعية وقيم ما بعد الحداثة نموذجاً

المؤلف: الرفاعي ، سميرة عبدالله ، مؤلف

المصدر: المؤتمر العلمي الدولي - الأسرة المسلمة في ظل التغيرات المعاصرة -
المعهد العالمي للفكر الإسلامي - الأردن

الهيئة المسؤولة: المعهد العالمي للفكر الإسلامي والجامعة الأردنية ووزارة التنمية
الاجتماعية

مكان انعقاد
المؤتمر: عمان

الشهر: إبريل - جمادى الأولى

التاريخ (م): ٢٠١٣

التاريخ (هـ): ١٤٣٤

الصفحات: ١ - ٢١

رقم MD: ١٦٩٢٣٩٣

المؤثرات الفكرية على التربية الأسرية وسبل مواجهتها

تيارات الداروينية الاجتماعية وقيم ما بعد الحداثة نموذجاً

سميرة عبدالله الرفاعي*

مقدمة:

يتشكل السلوك الإنساني بتفاعل مكوناته عبر سلسلة متلاحقة ومتكاملة يتصدر الفكر فيها أولى الحلقات؛ وبذلك تعظم مسؤولية التربية في توجيه الفكر وضبطه وتنقيته عما قد يشوه الصورة الصحيحة لمكانة الأفراد ووظائفهم الفطرية التي خلقوا من أجلها، فتعمر المجتمعات بكافة مؤسساتها وأبرزها ما يتعلق بالوحدة الأولى للبناء الاجتماعي ألا وهي الأسرة. وتشكل الأسرة -بقيمتها المنضبطة بنموذج للمثل الأعلى- المعين الأول الذي ينهل منه الأفراد ما ينبغي أن يكونوا عليه في المستقبل نموذجاً متكاملًا للزوجية والوالدية المنشودة، وما هم عليه في واقع الحال من تعلم السلوك الصحيح وتجنب المنحرف بما يحقق للمجتمع أمنه وترابطه وينأى به عن التفكك المعنوي أو الحقيقي الذي ألقته آثاره بظلالها على أسرنا اليوم سيما مع غياب النموذج الإسلامي في مستواه التطبيقي.

إن غياب النموذج الإسلامي المشار إليه أضعف القدرة على المقاومة والمغالبة لكثير مما تسرب إلينا من مذاهب وتيارات فكرية سيما في خضم التحديات المعاصرة، وإن كان الشك في القدرة على المغالبة كبير -إلى حد ما- ما لم تتحرك جميع القوى وتستنفذ مؤسسات المجتمع بشقيها (الرسمية والمدنية) طاقاتها للعودة إلى الأصول الثابتة من الكتاب والسنة التي رسمت منهجاً قويمًا للأسرة إنشاءً وضبطاً. ويعظم التحدي في ظل التحول نحو عولمة المذاهب والتيارات الفكرية وتصديرها في أحادية إلى العالم رغم تنوع أيديولوجية شعوبه وثقافتهم وعاداتهم. وعليه، جاء اختيار موضوع البحث لبيان مفرزات المؤثرات الفكرية في التربية الأسرية وعلاقتها بتراجع الكفاءة الوظيفية للأسرة، واقتراح ما يمكن أن يكون خطوات في طريق حل الأزمة.

ويقتصر البحث الحالي -فيما يتعلق بالمؤثرات الفكرية- على تيارات الداروينية الاجتماعية وقيم ما بعد الحداثة، وتيار الحركة النسوية العالمية للمطالبة بالمساواة المطلقة، وبالتالي، يصعب تعميم استنتاجات الدراسة خارج الحدود المذكورة.

أولاً: الإطار المفاهيمي للبحث:

1. العلاقات الأسرية ومستوياتها:

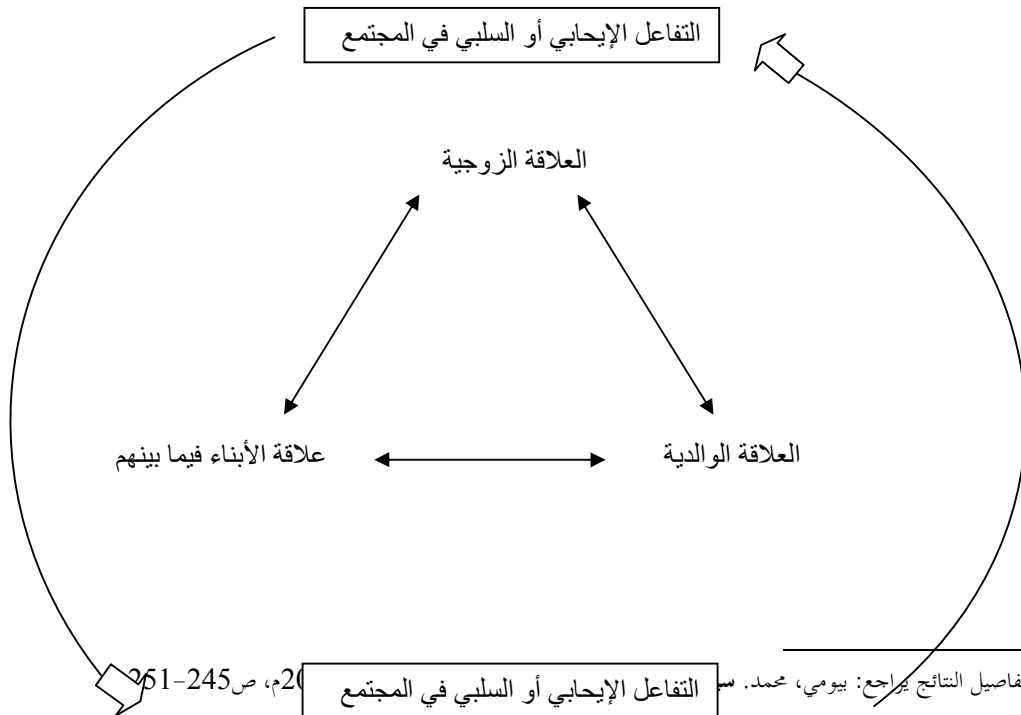
أ. تعريف العلاقات الأسرية: إن الحديث عن مركزية الأسرة من بين مؤسسات المجتمع بات مسلمات لا يقف الباحثون عند حد التعبير السطحي عنها، بل تجاوزتها الأنظار إلى ديناميكية العمل التي تنظم علاقة أفرادها

* دكتوراه تربية إسلامية، جامعة اليرموك عام 2010م. أستاذ مساعد في قسم الدراسات الإسلامية، كلية الشريعة، جامعة اليرموك. البريد الإلكتروني: dr.sasa79@yahoo.com

بعضهم ببعض باعتبارهم جماعة إنسانية منظمة تخضع لقوانين الاجتماع الإنساني في العلاقات والارتباطات. وتعد العلاقات الأسرية جزء من العلاقات الاجتماعية، وتنوع إلى علاقات أسرية داخلية قائمة بين أفراد الأسرة الواحدة وخارجية قائمة على تفاعل أفراد الأسرة مع ذوي الأرحام والجيران والأصدقاء وغيرها من الجماعات الاجتماعية. وتعرف الباحثة العلاقة الأسرية -الداخلية منها تحديداً- على أنها: تفاعل منظم بين أفراد الأسرة الواحدة بتدرج في مستويات متعددة، كل في موقعه ومسؤوليته، تحكمه المنظومة القيمية النابعة من الوحي وما يترضى عليه الأفراد تبعاً لاختلاف حاجات الزمان والمكان وتحدياتهما بما لا يخالف توجيهات الوحي.

ب. **مستويات العلاقات الأسرية:** بناء على ما تقدم من تعريف للعلاقات الأسرية، يمكن القول إن العلاقات الأسرية تقسم إلى ثلاث مستويات هي: العلاقة الزوجية والعلاقة الوالدية بشقيها الأبوة والبنوة والعلاقة الأخوية، تربطها علاقة التكامل والتفاعل الإيجابي في الأدوار والوظائف. وبالإمكان وصف العلاقات الأسرية بالشبكة، التي يتأثر فيها كل فرد ويؤثر في الآخر. فبقدر التعاون والتفاهم والانسجام بين أعضاء هذه الشبكة يتحقق التفاعل الإيجابي الذي يؤثر بإيجابية على المجتمع؛ باعتبار الأسرة النواة الأولى في بدهية بناء المجتمع أيضاً كانت أيديولوجيته، أما إذا احتل عنصر التفاعل الإيجابي بين أعضاء هذه الشبكة فستظهر ملامح الخلل والتصدع بصوره المتعددة والمتنوعة من العصيان والإهمال والانحراف والأنانية والذي سيؤثر بالتفاعل السلبي على المجتمع. ومما يؤكد ما ذكر ما أشارت إليه نتائج بعض الدراسات: أن من أبرز الأسباب المؤدية إلى بناء أسري متصدع هو اضطراب شبكة العلاقات الأسرية¹.

كما بالإمكان الاجتهاد في بيان العلاقات الأسرية ومستوياتها بالرسم التوضيحي الآتي:



2. التربية الأسرية: مفهومها وأهميتها:

أ. مفهوم التربية الأسرية: اصطلح العلماء أن التربية بشكل عام تشير إلى الجهود المخططة لإحداث تغييرات مرغوب فيها للفرد والمجتمع، كما تهدف إلى تعليم الفرد وإكسابه المهارات والعادات الحسنة من جميع النواحي (الجسمية والعقلية والنفسية والاجتماعية) اللازمة للمواطن الصالح¹، فيتمكن الفرد من التفاعل الإيجابي مع بيئته وأسرته، وهناك مؤسسات عديدة تقوم بهذا الدور من التربية، ومن أهمها الأسرة، باعتبار الأخيرة المنبع الرئيس والحضن الأول للطفل.

تعددت تعريفات التربية الأسرية، ومن أبرزها على سبيل المثال لا الحصر، أنها: "مجموعة علمية مترابطة ومتداخلة تعكس في مجملتها الحياة الأسرية، وتقدم المعارف والمعلومات والمهارات اللازمة لتهيئة الأفراد لحياة أسرية سعيدة سواء في أسرهم الحالية أو المستقبلية"². وعرفها فرغلي أنها: "كل ما تقدمه المؤسسات التربوية بصورة واعية ومقصودة بهدف إعداد الأفراد للاضطلاع بكفاءة بأدوارهم الحالية والمستقبلية كأعضاء في الأسرة"³. وفي ضوء ما سبق، تعرف الباحثة التربية الأسرية أنها: جهود مخططة بصورة واعية مقصودة سواء على المستوى الفردي أو المؤسسي، تهدف إلى تنمية سلوك الفرد وترقيته في شتى جوانب الشخصية؛ بما يمكنه من القيام بمسؤولياته وأدواره المنوطة به في أسرته الحالية والمستقبلية وبما يبوؤه مكانته الفطرية في الأسرة.

تبدأ التربية الأسرية للفرد منذ نعومة أظفاره كأى تربية، وتختلف باختلاف الأفراد والأوساط والظروف؛ ذلك أنها منوطة بمقومات شخصية الفرد ومكانته في الأسرة، مما يعني أن التربية المذكورة تستلزم معرفة سيكولوجية الأفراد والفروق الفردية بينهم⁴.

ب. أهمية التربية الأسرية: تبرز أهمية التربية الأسرية من أهمية الأسرة، باعتبار الأخيرة هي النموذج العملي المتحرك الذي ينقل الرعيل من مرحلة الفلسفة النظرية لكل المعاني والقيم التي يراد طبعها في السلوك إلى مرحلة التطبيق العملي، إذ مزوجة القول بالعمل أثبت في النفس من الاكتفاء بأحادية القول. كما بالإمكان القول إن ما تملكه الأسرة من خصائص النفوذ والهيبة الإيجابية تمكن من تنقية ما يتعلق بأفرادها من ممارسات خاطئة وما اكتسب بصورة مقصودة أو غير مقصودة، واختيار المناسب منه والثناء عليه ورفض السيء منه والتدليل عليه، وقد تصطلح الباحثة عليه -إن صح التعبير- بالقدرة على التصفية السلوكية سيما في عصر تتسارع فيه التغيرات وتعظم فيه التحديات. وبذلك تعظم الحاجة إلى التربية الأسرية في عصر الانفجار المعرفي المتلاحق في كافة الميادين (الصحة والطب الوقائي والتغذية والعلاقات الإنسانية ورعاية الطفل...)، كما يشهد العصر المذكور تقدماً تكنولوجياً

¹ ينظر:

- أحمد، لطفي. المعجم التربوي في الأصول الفكرية والثقافية للتربية، 1984م، ص47.

² - طه، فرح وآخرون. موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 2009م، ص323.

³ كوجك، كوثر. وداود، لولو جيد. المرجع في التربية الأسرية، القاهرة: عالم الكتب، 1984م، ص13.

⁴ أحمد، فرغلي. "التربية الأسرية في الولايات المتحدة الأمريكية والدروس المستفادة"، مجلة كلية التربية، جامعة أسيوط، العدد13، 1997م، ج1، ص187.

⁴ سيلامي، نوربير. المعجم الموسوعي في علم النفس، ترجمة: وجيه أسعد، دمشق: وزارة الثقافة، 2000م، ج2، ص575. (بتصرف).

مذهلاً بوسائلها المؤثرة مثل: الإنترنت والهاتف المحمول وغيرها، والتي انعكس أثرها في الحياة الأسرية¹ سواء على المستوى التنظيمي أو القيمي. إن الحفاظ على المستوى التنظيمي والقيمي لأفراد الأسرة يتطلب وحدة المعيار في التربية الأسرية، الذي يعني في أحد وجوهه اتفاقاً على الثوابت مع مرونة التطبيق، وإلى مثل هذا المعنى يشير أحد الباحثين بقوله: "والأصل بأن التربية الأسرية تجمع بين الأصالة والحداثة -يعني بها المعاصرة وليس مذهب الحداثة- والتي يمكن تسميتها بالتربية الانتقالية [...] فالتربية التقليدية لا تتفق مع مجتمع يتجه نحو الحداثة، والتربية الحديثة لا تتفق أيضاً مع مجتمع لم يصل إلى درجة الحداثة تماماً [...] فإن عدم الاتفاق على أسس حياتية واضحة ينشأ عنه تباين وتصادم بين ما هو تقليدي وبين ما هو حديث [...] والنتيجة المتوقعة من ذلك هي الفوضى التربوية"².

وبناءً على ما تم ذكره سابقاً -من مفهوم العلاقات الأسرية ومستوياتها- ترى الباحثة أن تضطلع التربية الأسرية بدورها فيما يتعلق بمستوى العلاقة الزوجية، بتهيأة الأبناء على القيام بالواجبات الزوجية، وتكون القدوة هنا من أهم أساليب التربية، بالإضافة إلى جملة التوصيات الوالدية للأبناء عند إقبالهم على الزواج للوفاء بحق الميثاق الغليظ، كما سمته الآية الكريمة: ﴿ وَأَخَذْنَا مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ [النساء: 21]. أما ما يتعلق بالعلاقة الوالدية بشقيها الأبوة والبنوة، فإن التربية الأسرية تعين على الوالدين -بما تقتضيه أبوتهما- رعاية أبنائهم الشاملة وتربيتهم وما يلزمها من متابعة تصرفاتهم وتقويمها، كما تستلزم البنوة أن يربي الأبناء على احترام الوالدين والإحسان إليها، إلا أن البنوة البارة لا يكتفى فيها بالتنظير؛ لأن أحاديته المنفصلة عن التطبيق مثلث يمنع الصورة الصحيحة من الاكتمال وينأى بسلوك الأبناء عن كمال الامتثال، فتتشوه الصورة، وهذا يعيد التأكيد من جديد، للتوجه إلى الأسرة الممتدة التي يظهر فيها عنصر الأجداد، فيتسنى للأباء تقديم نماذج عملية من البنوة البارة لأبنائهم. أما ما يتعلق بعلاقة الأخوة، فإن يربي الأبناء بطريقة متوازنة لا ينكر فيها واجب أحد أو حقه على غيره، مع التركيز على حميمية العلاقة الأخوية وإنسانيتها، وبذلك ندرك الحكمة في حديث المصطفى ﷺ: "من لم يرحم صغيرنا، ويعرف حق كبيرنا، فليس منا"³.

ثانياً: المؤثرات الفكرية:

1. الداروينية الاجتماعية وقيم ما بعد الحداثة:

أ. تمهيد تاريخي لظهور المذاهب الفكرية في الغرب: تعددت المذاهب الفكرية في الغرب بتعدد الانحدارات الفلسفية الثلاثة في النظرة إلى الوجود والتي تسمى *Ontology*، والنظر إلى مصدرية المعرفة والتي تسمى *Epistemology*، وما يتعلق بالمنهجية والتي تسمى *Methodology*، وهي كلمات لاتينية الأصل يعنى الأول منها علم الوجود، والثاني نظرية المعرفة، والأخير علم المنهج أو المنهجية. إن ظهور المذاهب الفكرية ارتبط في أوروبا بما يسمى عصر النهضة أو عصر التنوير، وكان ذلك تقريباً في القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين.

¹ أحمد، التربية الأسرية في الولايات المتحدة الأمريكية والدروس المستفادة، مرجع سابق، ص174.
² ربيع، حمد الله. الفوضى التربوية في الوسط العربي: مسؤولية الأسرة والمجتمع، أكاديمية القاسمي، 2005م، ص29-32. (بتصرف).
³ البخاري، محمد بن إسماعيل. الأدب المفرد، بيروت: دار البشائر الإسلامية، 1989م، باب فضل الكبير، رقم353، ص129. والأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها، وقال الألباني: "حديث صحيح".

أي بعد إحكام سيطرة الكنيسة في القرون الوسطى التي دامت ما يقارب العشرة قرون، أي: من القرن السادس إلى السادس عشر الميلادي؛ ولذا، نجد أن البعض¹ قسم تلك الحقبة في التاريخ الأوروبي إلى خمسة، هي: التاريخ والتاريخ القديم والعصور الوسطى والعصر الحديث وما بعد الحديث.

إن التسلط الكنسي الذي حجر على العقل، والذي تشهد به أقلام مفكرو أوروبا² حتى هذا العصر، تزامن في عقود الألفية مع الانفتاح على الحضارة الإسلامية في الأندلس وغيرها مقابل الظلام الذي تحياه أوروبا في كل مناحي الحياة، وبذلك تمهأت البيئة للثورة على الكنيسة وجعل منها النصب الذي يراد تحطيمه، سيما في القرن السادس عشر، ومنها ثورة لوثر مارتن³ والتي تسمى الثورة اللوثرية عام 1525م، وبدأ على إثر تلك الحركات ما يسمى بعصر النهضة أو عصر التنوير، وتقننت فيه المذاهب الفكرية والفلسفية التي يتوقع أن يكون جلها يحصر على إخراج الدين الكنسي من دائرة الحياة ليكون الإلحاد حضن الحرية. وسمي عصر النهضة أو التنوير بذلك لأنه أريد فيه لأوروبا أن تخرج من الظلام إلى النور ومن الجهل إلى العلم ومن اللاهوت إلى العقل المستقل عن الكنيسة. وهكذا، فقد تغيرت ظروف الحياة في أبعادها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية لتكون مقدمة مهينة فيما بعد للقرن المقبل وهو القرن التاسع عشر، فيصطلح فيه على مسمى لمذاهب جديدة هو امتداد للمذاهب السابقة - برأي الباحثة- يسمى مذهب الحدائثة Modernity، خلافاً لآراء البعض الذين اعتبروا الحدائثة فقط من مذاهب القرن التاسع عشر كظهور حقيقي، إلا أن الباحثة وإن صادقت على رسمية الظهور في القرن المذكور إلا أنها ترى أن ما سبقها من ظروف في القرنين الماضيين -أو بالأحرى عصر النهضة- ممهداً لها.

إن التغييرات المرتبطة بالتمهيد لظهور الحدائثة في علم الاجتماع (أي الفكر) تبعها تغييرات أخرى في مجالات شتى -ومنها الاقتصادية-؛ لضمان توزيع عادل للثروة، وإنصاف طبقة الشعب التي عانت من سلطة نظام الحكم، وبدأت حركات آدم سميث (توفي 1790م) والماركسية والشيوعية بالظهور⁴. أما الدين، فإن الغضب الملح على رجاله الذين حكموا عقول الناس باسم سلطة الدين -حيث اعتبرت روما مقراً رئيساً لها- مروجين لتفسيرات عن العلم والحياة في حيز الدين، ليس للعقل البشري فيها أدنى إرادة أو قدرة على الفهم أو المخالفة، فعندما بدأ التقدم العلمي وقوانين نيوتن (توفي 1727م) في الفيزياء بالظهور، ونظرية داروين (توفي 1882م) في علم الأحياء والبيولوجيا؛ كان ذلك المخرج لإمكانية الاستقلال عن الدين وتنحيته عن دائرة الحوار والحياة⁵؛ لينتقل مباشرة إلى تأليه العقل والاعتماد عليه، بما يكذب ادعاءات رجال الدين.

إن ما سبق ذكره من ظروف حياتية عاشتها أوروبا خلال قرنين من الزمان مهدت لظهور ما يسمى بالحدائثة في القرن التاسع عشر -بصورة رسمية- على يد الأديب الفرنسي شارل بودلير (1867م)⁶، إلا أن جذورها

¹ حسبية، مصطفى. المعجم الفلسفي، عمان: دار أسامة، 2009م، ص179.
² يراجع: أفايه، محمد. الحدائثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة: نموذج هابرماس، الدار البيضاء: دار إفريقيا الشرق، 1993م، ص28.
³ حسبية، المعجم الفلسفي، مرجع سابق، ص182.
⁴ حسبية، المعجم الفلسفي، مرجع سابق، ص181.
⁵ حسبية، المعجم الفلسفي، مرجع سابق، ص182.
⁶ للاستزادة عن أعلام المذهب، يراجع: الندوة العالمية للشباب الإسلامي. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الرياض: دار الندوة، 2003م، ج2، ص867.

ضاربة من عصر التنوير، فكلها امتدادات تاريخية ثقافية كل حقبة تمهد للتي تليها، ووجدت الباحثة لهذا الرأي موافقات من قبل باحثين آخرين¹. إن فكر الحداثة توسط حقتين في التاريخ الأوروبي، كل حقبة أفرزت مذهباً رئيساً، سابقة ممهدة له وهي التنوير والعقلانية، وتالية أسست لها الحداثة مع ظهور الرأسمالية، وشيوع ثقافة الاستهلاك وانتصار صناعة الخدمات والمال والمعلومات على المصنع التقليدي وسرعة التبدد والزوال والتغيير. بما يسمى مذهب "ما بعد الحداثة" الذي بدأ العالم الغربي بالتحول إليه في عقد السبعينيات من القرن العشرين، إلا أنه بلغ أوجهه في الثمانينيات من القرن المذكور في السجلات الفكرية والفلسفية بين مؤيدي الحداثة ورائدهم يرغن هابرماس، ورائد ما بعد الحداثة جان فرانسوا ليوتار (ليوطار)². ولذا، ظهر من يسمي الحقب الثلاثة المذكورة في التاريخ الأوروبي بالمشروع التحديتي (التحديث-الحداثة-ما بعد الحداثة)³.

ب. مذهب ما بعد الحداثة Post modernity

يعد التمهيد السابق لظهور مذهب الحداثة وما بعد الحداثة، وسائر المذاهب الفكرية في أوروبا ضرورة منطقية، إذ أن الحديث عن ما بعد الحداثة يستلزم التفصيل في مذهب الحداثة الذي سبقه ولا يزال ينافس في الظهور والتأييد. إن لفظ الحداثة Modernity في أصله اللاتيني يعني "الآن" أو "في هذه اللحظة"، وأول من استخدمه الإنكليز، ليكون مقابلاً لمعنى "قديم"، سيما في عصر الملكة إليزابيث الأولى (1523م-1603م) ثم شاع استخدامه في سائر أوروبا⁴. إن الحداثة المنحدرة من فلسفة الأنوار، أعلنت مركزية الإنسان في الكون⁵ واستقلاله عن الوحي وأنه بعقله قادر على تقديم تفسيرات لنفسه وبيئته والكون. وبالإمكان وضع أبرز معتقدات مذهب الحداثة وأفكاره في أربعة أبعاد، تلخص ثلاثة مظاهر (فوقية العقل وكرامة الإنسان ونسبية المصالح)، وهذه الأبعاد هي⁶:

- العقلانية: بالإعلاء من شأن العقل ومقاييسه؛ لاعتبار الإنسان مركز الكون.
- الحرية والفرديّة: لتأكيد حق الإنسان في تقرير مصير شؤونه المدنية، سيما المرأة.
- العلمانية: فصل السلطة السياسية عن المؤسسة الدينية، والانطلاق من الإنسان كمفهوم مرجعي للممارسات الإنسانية في شتى مجالاتها.

¹ للاستزادة، يراجع: التركماني، عبدالله. "أسس الحداثة ومعوقاتها في العالم العربي المعاصر"، ورقة قدمت -باليابان- في الندوة التي أشرفت عليها مؤسسة الشجرة للذاكرة الفلسطينية، دمشق: المركز الثقافي العربي بمخيم اليرموك، في الفترة ما بين: 6-9 كانون الأول، 2004م، ص3.

² الخطاوي، عز الدين. أسئلة الحداثة ورهاناتها في المجتمع والسياسة والدولة، بيروت: الدار العربية للعلوم، 2009م، ص17-18.

³ للاستزادة يراجع: جديدي، محمد. الحداثة وما بعد الحداثة في فلسفة ريتشارد رورتي، الدار البيضاء للعلوم، د.ت، ص142-144.

⁴ إيغلون، تيري. "ما بعد الحداثة وما بعد الحداثة". في كتاب: ما بعد الحداثة: تحديات، ترجمة: محمد سيلا وعبد السلام العالي، المغرب: دار توبقال للنشر، ط1، 2007م، ص10.

⁵ المسيري، عبد الوهاب. والتريكي، فتحى. الحداثة وما بعد الحداثة، دمشق: دار الفكر، ط1، 2003م، ص13-14.

⁶ العبد الكريم، راشد. "أثر ما بعد الحداثة في التعليم نظرة عامة"، ورقة عمل مقدمة: للقاء الجمعية السعودية للعلوم التربوية والنفسية السنوي، الرياض، 1424هـ، ص3.

³ عماد، عبد الغني. سوسيولوجيا الثقافة: المفاهيم والإشكالات من الحداثة إلى العولمة، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2006م، ص213.

⁴ الحاج، كميل. الموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفي والاجتماعي، بيروت: مكتبة لبنان، 2000م، ص201.

⁵ المسيري، والتريكي، الحداثة وما بعد الحداثة، مرجع سابق، ص14.

⁶ للاستزادة: التركماني، أسس الحداثة ومعوقاتها في العالم العربي المعاصر، مرجع سابق، ص3-5.

- التاريخانية: اعتبار معقولة التحول والتغيير للمجتمع، وهو نمو خاضع لمعايير التقدم سيما العلمي منها، أي الثورة على الثبات.

وبالإمكان اعتبار أن العلاقة المفترضة في المذهب الحدائي بين الإنسان والطبيعة، هي علاقة صراع ابتداء. إن المقارنة بين الحداثة وما بعد الحداثة قد تدخل الباحث في سجال فكري كما يرى البعض، حيث يرون أن بينهما قاسماً مشتركاً هو الحداثة بمعانيها، إلا أن نقطة الخلاف في مقطع "ما بعد"، فهي بذلك تكون مرحلة مرتبطة بالحداثة في الزمن أو الأسلوب أو كليهما معاً¹، فإن اعتمد الفرق الزمني تكون ما بعد الحداثة المرحلة الزمنية اللاحقة للحداثة جراء تغيير الأنساق المعرفية والثقافية والاجتماعية وظهور مجتمع وسائل الإعلام والرأسمالية متعددة الجنسيات، في حين أن تبني الأسلوب يلخص في فرقية التطبيق لكلا المذهبين في واقع الحياة. ويرى آخرون أن الجدال الفلسفي هو في مناقشة مفرزات الحداثة السلبية بغية تجاوزها، وفي ذلك يدعي "هابرماس" أن الذين ناقشوا ما بعد الحداثة لإسقاط الحداثة كانوا في الحقيقة يدورون مرة أخرى في فلك الحداثة². ويتجه البعض إلى أن تيار ما بعد الحداثة نشأ ردة فعل للحداثة حيث يعبر عن حالة لرفض الغلو في الثقافة الغربية المستندة إلى العقل حتى وصلت ما بعد الحداثة للثورة على العقل والتشكيك في البدهيات³.

وبعد قراءة المسيري الواعية للحداثة وما بعد الحداثة، يرى أن نشأة ما بعد الحداثة مرتبطة باليهودية والصهيونية والنظام العالمي الجديد⁴، وأن العالم الغربي في تنقله من الحداثة إلى ما بعد الحداثة، انتقل من المركزية- أي مركزية الإنسان في الكون- التي نادى بها الحداثة إلى العدمية والتفككية التي آلت إليها ما بعد الحداثة، أي من العقلانية إلى اللاعقلانية، حيث تراجع الجوهر الإنساني في العصر الحدائي لصالح مصطلحات ثلاثة هي (الآلة والسوق والقوة)، ثم اختزل الإنسان في شيء أحادي البعد (الجسد والجنس واللذة) في عصر ما بعد الحداثة⁵. وسواء مركزية الإنسان في العصر الحدائي أو جسديته في ما بعد الحداثة، كلاهما لم يحقق للإنسان السعادة وإن كانت هي الغاية المدعاة وراء انطلاق مثل تلك الصيحات الفكرية؛ وبذلك أكدت ما بعد الحداثة انحسار السعادة في الجسد الإنساني ولذته، مقابل خسارة جوهره الحقيقي. وما سبق دعى المسيري إلى نحت مصطلحي المادية القديمة الصلبة (مرحلة العقلانية في الفكر الغربي) والمادية الجديدة السائلة (والتي عبر عنها بما بعد الحداثة) لتفسير التحول من الحداثة إلى ما بعدها⁶.

¹ للاستزادة: حديدي، الحداثة وما بعد الحداثة في فلسفة ريتشارد رورتي، مرجع سابق، ص142-150.

² أفايه، الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة: نموذج هابرماس، مرجع سابق، ص121.

³ يراجع:

- العبد الكريم، أثر ما بعد الحداثة في التعليم نظرة عامة، مرجع سابق، ص3.

- تورين، آلان. نقد الحداثة، ترجمة: أنور مغيث، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 1997م، ص30-31.

⁴ لمزيد من التفاصيل، يراجع:

- المسيري، والتريكي، الحداثة وما بعد الحداثة، مرجع سابق، ص131-159.

- إبراهيم، زان. رحلة عبد الوهاب المسيري الفكرية دراسة في المقاصد والمنهج، مجلة إسلامية معرفية، العدد 68، ص20.

⁵ المسيري، والتريكي، الحداثة وما بعد الحداثة، مرجع سابق، ص15.

⁶ للاستزادة، يراجع:

- المسيري، والتريكي، الحداثة وما بعد الحداثة، مرجع سابق، ص15.

- العبد الكريم، أثر ما بعد الحداثة في التعليم نظرة عامة، مرجع سابق، ص4-11.

- حديدي، الحداثة وما بعد الحداثة في فلسفة ريتشارد رورتي، مرجع سابق، ص174-177.

وفي ضوء ما سبق، يعد مصطلح "ما بعد الحداثة" من مصطلحات النفي السلبية، وهو ترجمة لـ post-modernism أو modernism، حيث تستخدم تلك الكلمات المترجمة للدلالة على الشيء نفسه، وبذلك تختلف أبعاد المصطلح محل التعريف- ما بعد الحداثة- تبعاً لاختلاف المجال محل النظر: الأدبي والاجتماعي وغيره¹. وبعد القراءة لما بعد الحداثة، يمكن القول إن أبرز الأفكار التي دعت إليها تتخلص بما يأتي²:

1. التشكيكية ونقض المسلمات.
2. التوجه إلى مثلث (الجسد والجنس واللذة).
3. نفي الحقيقة المطلقة على المستوى "الأنطولوجي" *Ontology*، وهذا يترتب عليه: الإيمان بالتعددية *Multiplicity* والنسبية مقابل الوحدة، أي: تعددية النظرة والتفسير للقضية الواحدة دون أن يعيب أحد تفسير آخر. والتوجه إلى اللاهوية، حيث إن هوية الفرد دائماً متغيرة ومتعددة تتبع رغباته وعلاقاته؛ فهي دائمة التغير والتشكل، وتعد بذلك ما بعد الحداثة انكفاء على الذات بدلاً من تحقيق الذات. وبما أن اللغة عندهم هي وسيلة المجتمع لصناعة الأفراد، وقوانين اللغة هي نفسها القوانين التي تحكم الواقع، وما دامت اللغة هي وسيلة التعبير عن الفكر وليس هناك حقيقة مطلقة، إذن، ليس هناك تراكيب ذات معنى نهائي أو محدد في اللغة، وهو ما أسموه "سجن اللغة".
4. نفي الموضوعية والعقلانية على المستوى "الإستمولوجي" *Epistemology*، وهذا يترتب عليه: الذاتية، ما دام ليس هناك حقيقة مطلقة إذن لا نستطيع الفصل بين العارف والمعروف في البحث العلمي، كل يقرأ الأفكار في سياقه الذاتي والاجتماعي المحدد، فلا وجود للموضوعية كما يدعون. يرون أن المعرفة والحقائق عناصر ووسائل متداخلة للسلطة والهيمنة، وليستا محايدتان.

ت. الداروينية الاجتماعية:

إن عالم الأحياء الإنجليزي تشارلز داروين (توفي 1882م) من علماء النصف الثاني للقرن التاسع عشر، أسس لنظرية مادية في تطور الكائنات الحية لم يقف أثرها عند مبادئ العلوم الطبيعية بل تعداها إلى العلوم الإنسانية والاجتماعية فيما بعد. ويعد البعض أن نظرية داروين مستندة إلى أفكار كهنة بابل وآشور اللذين اعتقدوا أن بدء التكوين الإنساني كان بكتلة لزجة لا شكل لها ولا صورة، إلا نفخة من الخالق، ثم تقلبت تلك الكتلة بفعل الطبيعة إلى مراحل متعددة حتى وصلت إلى صورة الشكل الإنساني على ما يبدو عليه الآن³. وترتكز نظرية التطور إلى عوامل رئيسة تعطي بدورها المعنى المراد للداروينية إذا أطلقت، وهي⁴:

- التغيير والتحول: أي أن الأنواع ينشأ بعضها من بعض سيما النوع الإنساني، والمنحدر من أنواع حيوانية شبيهة

¹ المسيري، والتركي، الحداثة وما بعد الحداثة، مرجع سابق، ص 81.

² للاستزادة، يراجع: - المسيري، والتركي، الحداثة وما بعد الحداثة، مرجع سابق، ص 81-95.

³ - جديدي، الحداثة وما بعد الحداثة في فلسفة ريتشارد رورتي، مرجع سابق، ص 176-177.

⁴ المدرسي، هادي. عن الإنسان والمادية الداروينية، بيروت: دار التعاون للطبوعات، د.ت، ص 12.

⁴ يراجع: - يفرغوف، ناناليا وسلوم، توفيق. معجم العلوم الاجتماعية مصطلحات وأعلام، موسكو: دار التقدم، 1992م، ص 170-171.

- عثمان، صلاح. الداروينية والإنسان نظرية التطور من العلم إلى العوامة، الإسكندرية: منشأة المعارف، 2001م، ص 37.

- صليبا، جميل. المعجم الفلسفي، بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1971م، ج 1، ص 556.

- بالقرود، ويؤدي ذلك التحول إلى ظهور صفات ووظائف جديدة.
- الوراثة: إن الصفات التي نشأت عن التغير والتحول ترسخ وتورث في الأجيال اللاحقة للكائنات الحية.
 - الانتخاب الطبيعي: إن التغير والتحول المذكور من الصفات والوظائف يشير إلى قدرة تلك الكائنات على التكيف مع البيئة من أجل البقاء.
 - وبعد القراءة في الموضوع⁽¹⁾، تبين أن الانتخاب الطبيعي يتضمن -على حد تعبير الباحثة- متلازمتين تلقائيتي المعنى له، هما:
 - الصراع من أجل البقاء: حيث إن الكائنات تحمل نزعة نحو التضاعف العددي مع ثبات أعداد النوع الواحد في النهاية، مما يعني أنها تعيش حالة مستمرة من الصراع والتنافس الحاد فيما بينها على احتياجات الحياة من أجل البقاء، مما يؤدي إلى هلاك بعضها في النهاية.
 - بقاء الأصلح (الأقوى): والتي تشير أن الكائنات التي تمتلك قدرة أكبر للتغير في صفاتها بحيث تصبح صفات إيجابية من أجل التكيف مع بيئتها، تيسر لها فرص أكبر للبقاء من بين المخلوقات التي لا تمتلك تلك الصفات، وبالتالي، تنتخب الطبيعة -على حد تعبيرهم- الأنسب في الصراع الدائم من أجل البقاء، وتقضي على الرديء منها على اعتبار أن الحياة معركة صراع من أجل البقاء، والمنتصر فيها هو الأصلح للبقاء.
 - وقد أعطى داروين للانتخاب الطبيعي الوزن الأكبر من بين عوامل نظريته، ويعد الجوهر الحقيقي لها، والذي أسس فيما بعد -الانتخاب الطبيعي بمتلازمتيه- للداروينية الاجتماعية، حيث يعد علم الاجتماع الحضن الأول لها، قبل أن يتم تصديرها إلى باقي العلوم الإنسانية والتربوية، وأصبحت فلسفة عامة يؤمن بها الغرب تركت طابعها على ذلك المجتمع. نقلت الداروينية الاجتماعية مبادئ علم الأحياء إلى الإنسان وعلاقاته مع الآخرين في المجتمع، فأمنت بمبدأ الانتخاب الطبيعي بمتلازمتيه: الصراع من أجل البقاء والبقاء للأقوى، كأبرز عاملين للتقدم الاجتماعي. ووصل ببعضهم الاعتقاد بأن جذور الشرور الاجتماعية تنبع من التكاثر الكثيف لأناس غير أصحاء وناقصين، ومن أبرز أتباع هذه المدرسة: هربرت سبنسر (توفي 1903م)، وفردريك لانغ (توفي 1948م)².
 - وبالإمكان تلخيص أبرز أفكار الداروينية الاجتماعية، بما يأتي³:
 - في كل جيل يصمد الأفراد الأكثر ذكاءً وقدرة على الاتزان في الحياة، في حين يموت الأضعف قدرة، وهكذا تتحسن المجتمعات وتنمو.
 - إن العملية سابقة الذكر تسمى الاصطفاء (الانتخاب) الطبيعي.
 - إن مساعدة الفقراء والمحتاجين تعتبر تدخلاً سلبياً في عملية الاصطفاء سابقة الذكر، لأن الاصطفاء الطبيعي هو

¹ للاستزادة، يراجع: - المدرسي، عن الإنسان والمادية الداروينية، مرجع سابق، ص28.
 - عثمان، الداروينية والإنسان نظرية التطور من العلم إلى العولمة، مرجع سابق، ص39.
 - عبد المعود، كرم. الخلق بين العنكبوتية الداروينية والحقيقة القرآنية، القاهرة: دار نخضة مصر للطباعة، 2001م، ص120.
² دار الشعب، الموسوعة العربية الميسرة، القاهرة: دار الشعب، 1965م، ص775.
³ الحاج، الموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفي والاجتماعي، مرجع سابق، ص221.
 ينظر: - يفرموف، وسلوم، معجم العلوم الاجتماعية مصطلحات وأعلام، مرجع سابق، ص170-171.
 - نخبة من المتخصصين. مبادئ علم الاجتماع، القاهرة: الشركة العربية المتحدة للتسويق بالتعاون مع جامعة القدس المفتوحة، 2009م، ص35-36.

للأفراد الأكثر ملائمة.

وما سبق وجد رواجاً بين الأثرياء والطبقات العليا في المجتمع والأكثر نفوذاً؛ لئلا يجدوا على أنفسهم أو يشعروا بالذنب في مجامع الآخرين وموهم الاجتماعي. وبذلك وجد أصحاب المذاهب الإلحادية متنفساً للتخلص من التفسير اللاهوتي لرجال الدين الكنسي لأصل الإنسان والذي يرد أصل جميع البشر إلى آدم عليه السلام¹، وقبلوا أن يكونوا منحدرين من أصول حيوانية شبيهة بالقرود مقابل التخلص من أي تفسير ديني لذلك الخلق تأكيداً منهم على فصل الدين عن الحياة. ارتبط رواج النظرية الداروينية وانتقالها من الحس البيولوجي إلى الاجتماعي بالمعنى الذي سبق بيانه بتغيرات شهدها المجتمع الأوروبي آنذاك في شتى المجالات، منها: ازدياد الاتصال بالشعوب البدائية جراء حركات الكشوف الجغرافية والاستعمار وتكوين الإمبراطوريات، بالإضافة إلى الكتابات السياسية إما لتبرير نظام قائم (متمثل بالرأسمالية) أو تبرير الثورة عليه (بديمومة الاشتراكية)، وإن كان الأمر قد انتهى في نهاية المطاف إلى الجيب الرأسمالي الليبرالي تحت مسمى العولمة². وتحتل الداروينية الاجتماعية في عصر العولمة مكاناً بارزاً في برامج الرأسمالية الإمبريالية وخططها، التي آلت إلى تعاسة المجتمع بدلاً من تحقيق الرفاه المنشود. إن تعاسة المجتمع الدارويني-إن صح التعبير- نتجت عن إسقاط مبادئ التطور الدارويني وعوامله على القيم الإنسانية والسلوك الإنساني، باعتماد مبدأ التطور المستمر للقيم والصراع من أجل البقاء للأصلح (الأقوى) فيما يتعلق بالسلوك الإنساني³.

يعد تعويم القيم الإنسانية وإخضاعها للتطور المادي المرهون بالوضع الاقتصادي لمجتمع ما إقصاء لها عن الثبات أو تبوء مركز المعيارية المحققة لذلك المجتمع، وبالتالي، لا معنى للعفة أو الرذيلة إلا بما يحكمه الوضع الاقتصادي للمجتمع في حيز الزمان أو المكان، فقد تكون العفة رذيلة وتارة تنقلب الرذيلة إلى عفة، وهكذا. وأن يحكم السلوك الإنساني بمعركة التنافس والصراع من أجل البقاء، كحافز وحيد للعمل والإنتاج باعتبار الإنسان حيواناً متطوراً يتضمن افتراضه ك مخلوق شرير ابتداءً يحمل نزعة العدوان، وهذه الأخيرة سلاحه الآكد في محاربة الآخرين وشق طريقه نحو النجاح ليكون الأصلح-الأقوى-الذي تنتخبه وتصطفيه الطبيعة، فيضمن البقاء. إن افتراض نزعة العدوانية وعلاقات الصراع مع الآخرين والكون من حولهم آلت بأصحابها إلى نهب مقدرات الكون التي تعد مشاكل التلوث البيئي جزء منها.

وعلى إثر التفسير الدارويني لنزعة الإنسان العدوانية، النابعة من حيوانيته، نشأت في العلوم الإنسانية والتربوية اتجاهات مؤيدة تفسر السلوك الإنساني باعتباره حيواناً متطوراً ومنها: صيحات سيجموند فرويد (توفي 1939م) في علم النفس التي تربط السلوك الإنساني بتزعتين هما: الجنس والعدوانية.

ثانياً: الحركات النسوية العالمية للمطالبة بالمساواة المطلقة:

يشير مصطلح الحركة عموماً إلى معنى ديناميكي ضد الركود، ويعبر عن نشاط العناصر داخلها، والذي يحقق

¹ حسبية، المعجم الفلسفي، مرجع سابق، ص183.

² عثمان، الداروينية والإنسان نظرية التطور من العلم إلى العولمة، مرجع سابق، ص137.

³ المدرسي، عن الإنسان والمادية الداروينية، مرجع سابق، ص178-181.

درجة من الاستمرار والتنظيم بهدف التغيير تقوم به فئة معينة¹. كما تتعدد الحركات وتتنوع تبعاً للمجال الذي تنشأ فيه، ففي المجال السياسي حركات سياسية، وفي المجال الاقتصادي حركات اقتصادية، وفي المجال الاجتماعي حركات اجتماعية، سيما فيما يتعلق منها بالأسرة والطفولة والمرأة. وتعد الحركات النسوية المناهية بحقوق المرأة وحرابتها إحدى الحركات الاجتماعية، حيث تعني الأخيرة: "ذاك الجهد الموحد والمتصل الذي تقوم به مجموعة لتحقيق أهداف مشتركة بين أعضائها، وتختلف درجات التنظيم واستمرار ووضوح الأهداف داخل نطاق الحركة الاجتماعية الواحدة تبعاً لمراحل تطورها"². ويرى المهتمون في البحث في الحركات الاجتماعية أنها تستمد بواعث قوتها ووجودها من السخط على الحالة السائدة، بالإضافة إلى الرغبات والآمال المتطلعة إلى تخطيط وضع جديد، وتنمو الحركات الاجتماعية بتدرج واضح في الوظائف والقيادات والتنظيمات حتى يصبح لها شكل راسخ من القيم والقواعد الاجتماعية، وعليه، تم تقسيم الحركات الاجتماعية إلى أنواع، هي³:

- عامة: مثل الحركات النقابية والعمالية.
 - خاصة: الحركات المضادة لنظام الرق.
 - تعبيرية: كالحركات الدينية، وحركات تجديد الأساليب والأنماط والطراز السائد، وأهمها حركة تحرير المرأة والمطالبة بحقوقها.
- وتجتهد الباحثة في مساواة واعتبار مسمى الحركات التعبيرية المشار إليها بالحركات الأيديولوجية.

1. تعريف الحركة النسوية Feminism وتاريخ ظهورها ومسمياتها:

تعرف الحركة النسائية **Feminism** أنها حركة جماعية تقوم بها النساء -في الغرب خاصة- لتغيير أدوارهن وأوضاعهن في المجتمع⁴، بما يشير إلى أوضاع غير مرضية لنساء ذلك المجتمع سواء على المستوى السياسي أو الاجتماعي أو الاقتصادي أو غيره. إن ظهور أي حركة -بغض النظر عن مسمائها وتوجهاتها- إنما تسبقها ظروف تهيئ التفاف الأفراد حول صيحاتها، وبعد القراءة والبحث في الموضوع وجد أن الحركات النسوية مراحل ولكل مرحلة ظروفها.

يرى البعض أن تاريخ نشوء الحركات النسوية-التي موطنها الأصلي الغرب- يرجع إلى القرن السابع عشر الميلادي⁵، حيث بداية عصر النهضة وما تلاه من ظهور مذاهب كثيرة، منها الماركسية بقيادة كارل ماركس وفريدريك إنغلز، اللذان اعتبرا الأسرة والدين من عوامل إعاقة تقدم المجتمع، وعليه، شجعا خروج المرأة للعمل في المصانع وترك الأسرة موطنها الأصلي باعتبارها من قيود المرأة، ومع ذلك، بقيت حقوقها هامشية في العمل بعيدة كل البعد عن المساواة حتى في الإنسانية مع الرجل رغم الصيحات التنظيرية التي أخرجتها من البيت، وعليه، بدأت

¹ الشعبة القومية للتربية والعلوم والثقافة اليونسكو. معجم العلوم الاجتماعية، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1975م، ص227.

² الشعبة القومية للتربية والعلوم والثقافة اليونسكو، معجم العلوم الاجتماعية، مرجع سابق، ص227.

³ المرجع السابق، ص227.

⁴ الموسوعة العربية العالمية، الرياض: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، 1996م، ج9، ص280.

⁵ رشاد، علي أكبر. "ظاهرة العصبوية النسوية"، ترجمة: خالد توفيق، مجلة المنهاج، العدد25، ص309-318.

تشكل الحركات النسوية في الغرب، وتعد أمريكا وبريطانيا مركزاً لها للمطالبة بحقوقها المدنية والسياسية، وهذه سميت الحركة النسوية القديمة. والبعض يرجع تاريخ النشأة إلى القرن التاسع عشر¹، والتي خرجت فيه المرأة في الغرب للمطالبة بحقوقها في التعليم والميراث وغيرها، ثم تطورت الحركة ونحت منحى آخر في ستينيات القرن العشرين²، واتخذت طابعاً أيديولوجياً شاذاً عبرت عن مرحلة جديدة من الحركات النسوية هي الحركات النسوية الحديثة أو المعاصرة. ومن أبرز الظروف التي هيأت التحول المذكور للحركة النسوية الحديثة: النظرة الاجتماعية للمرأة باعتبارها من طبقات المجتمع الوسطى التي تجعل منها ربة بيت فقط -أي غير عاملة-، بالإضافة إلى الاستمرار المجتمعي بالفرقة في الأجور بين الرجال والنساء في أماكن العمل، ويضاف إلى ما سبق: عدم وصولها إلى السلطة السياسية بمساحة مقبولة³ أو منصب جدير بالذكر، كما أن التحول زامنه تحول العالم الغربي من عصر الحداثة إلى عصر ما بعد الحداثة، ومعه تحولت كل التوجهات الفكرية في شتى الميادين؛ لأن مذهب ما بعد الحداثة يحمل تصوراً تمتد أطره إلى الحياة بشتى ميادينها، وهذا ما جعل الحركة النسوية الحديثة مركزها الأول أمريكا - مركز ما بعد الحداثة- ثم تنطلق إلى سائر بلاد العالم.

وبعد النظر في الرأيين المتعلقين بتاريخ نشوء الحركات النسوية التي يرجىء بعضها إلى القرن السابع عشر، والآخر إلى التاسع عشر، ترى الباحثة أن بروز أي مذهب أو تيار إلى السطح، يعني مروره بثلاث مراحل مترابطة ومتكاملة، وكل واحدة تعد مدخلاً للآخرى، وهي -إن صح التعبير-: المرحلة الجنينية ثم مرحلة المخاض وأخيراً الولادة الحقيقية، وهذا التوجه الذي اجتهدته الباحثة يتوافق مع التدرج المتفق عليه في أي حركة اجتماعية، التي تعد الحركة النسوية جزءاً منها. وعليه مرت الحركة النسوية بمرحلة جنينية كان القرن السابع عشر الميلادي حضاناً لها بظروفه الاجتماعية والاقتصادية، ثم بدأت مرحلة المخاض وآلامه لتوقع الولادة الحقيقية، فبرزت الحركة النسوية بصورة رسمية بشكلها الأولي الذي قد يعد بحق أهله بريئاً للمطالبة بالحقوق الإنسانية للمرأة مثل: التعليم والصحة وغيره، ثم جراء التحول من العصر الحداثي إلى ما بعد الحداثي وفوضوية توجه الأخير، تأتي مرحلة الولادة الحقيقية للحركة النسوية التي استقرت عليها، وهي صورة الحركة النسوية الحديثة أو المعاصرة. وعليه يمكن تقسيم الحركات النسوية إلى نوعين هما:

أ. النسوية القديمة: التي برزت في القرن التاسع عشر، وشعارها المساواة في الإنسانية مع الرجل، والتي تعبر عن مأساة عاشتها المرأة في ظروف المجتمع الغربي في القرن المذكور وما سبقه، وبالإمكان تسميتها "نسوية النشأة"، علماً بأن البعض⁴ قد يسميها نسوية المساواة Equity Feminism، وآخرون⁵ يسمونها النسوية التقليدية

. Traditional Feminism

¹ عدوان، نورا بنت عبدالله. "الحركة النسوية الغربية وآثارها في ظل الانفتاح العالمي"، المؤتمر العالمي التاسع للندوة العلمية للشباب الإسلامي، الرياض، 26-23 شعبان 1423هـ/2002م.

² مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الموسوعة العربية العالمية، مرجع سابق، ج9، ص280.

³ مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الموسوعة العربية العالمية، مرجع سابق، ج9، ص280.

⁴ عدوان، الحركة النسوية الغربية وآثارها في ظل الانفتاح العالمي، مرجع سابق.

⁵ أبو الفضل، أمان. "تحرير المرأة العربية فلسفة الجندر نموذجاً دراسة في المصطلح والفهوم"، مؤتمر: المرأة وتحولات عصر جديد، المركز الثقافي العربي، دمشق، 20-25/4/2002م.

ب. النسوية الحديثة أو المعاصرة: وقد يطلق عليها البعض مسميات أخرى مثل: العصبوية النسوية، والحركة الأنثوية -أي أنها تتحاز للأنثى لجزرة أنها أنثى-، ونزعة التفوق النسوي، أو الفيمينيستية ترجمة لـFeminism¹. وهذه الحركة قائمة على أيديولوجية شاذة ومنحرفة تستند إلى المطالبة بالمساواة المطلقة مع الرجل، وسماها البعض المساواة القانونية والاستقلالية الجنسية²، وتعرف باسم Gender Feminism³، تسمية لأشهر وأبرز تيار فيها، وهو تيار الجندر النسوي⁴ -من باب إطلاق الجزء على الكل-، مما يدل على سطوة ذلك الجزء وشهرته، وقدرته على الضغط على مراكز القيادة والقوة في المجتمع.

ووجدت بعض الآراء التي تعتبر الحركة النسوية بوجهها الحديث الذي استقرت عليه بالحركة النسوية العالمية Global Feminism، التي تعد نتاجاً ومؤشراً للعوالم⁵، إذ الأخيرة لها محاولات في تكريس قواها وأدواتها من الإعلام وغيره على قضايا رئيسة هي: الأسرة والسكان والمرأة، بطرحها ببعده عالمي موحد يراد منه تنمية الجميع وفقه. إن تغلغل الحركة النسوية الحديثة في الدراسات الاجتماعية وعلم النفس الاجتماعي أبرز نحلاً وتيارات متنوعة منها: الليبرالية (أو التحررية) والماركسية والنفسية والوجودية والراديكالية ونسوية ما بعد الحداثة⁶.

كل تيار ينظر من زاويته في كيفية الاستقلال عن الرجل والمناذرة بالمساواة المطلقة، فعلى سبيل المثال: ترى الماركسية⁷ أن طبقات المجتمع تحكمها علاقة الصراع، وهي طبقية ظالمة ممثلة بالرجل وطبقة مظلومة ممثلة بالمرأة، وإن تغير الأوضاع لا بد له من الثورة على ما هو قائم وإلا استحال التغيير. أما النسوية النفسية وأن صح التعبير النسوية الفرويدية، فتدعو إلى تعويم الهوية الشخصية والدعوة إلى الحرية في الميول الجنسية للوصول إلى إباحية العلاقات الجنسية -سيما المثلية منها- وعدم اعتبارها صورة من صور الشذوذ⁸. أما الراديكالية فهي التي تنحى منحى نزعة التفوق النسوي على الرجل. أما نسوية ما بعد الحداثة، فأول ظهور لها كان في التاريخ الأدبي في القرن العشرين، والتي تقدم نقداً لاذعاً لما اعتبرته مفاهيم اجتماعية مرتبطة بالدين البطريركي، والتي تحصر دور المرأة بالزواج والأمومة كوظائف رئيسة لها، ومن أبرز الأدب الدال على الفكر المذكور كتاب الوعاء الزجاجي The Bell Jar للكاتبة والشاعرة الأمريكية سيلفيا بلاث Sylvia Plath⁹.

رغم تنوع الأساليب التي تتخذها التيارات النسوية سابقة الذكر، إلا أنها كتيارات تجمعها حركة نسوية، فإنها تتوحد وتتشرك في قاسمين رئيسيين، هما¹⁰: مفهوم النوع Gender. ومفهوم الضحية Victim. أما مفهوم النوع Gender فيدعو إلى إلغاء الفوارق بين الجنسين، بل لأكثر من ذلك، وهو إلغاء تام لوجود مسمى ذكر أو أنثى،

¹ يراجع: - رشاد، ظاهرة العصبوية النسوية، مرجع سابق، العدد25، ص309-318.
² - مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الموسوعة العربية العالمية، مرجع سابق، ج9، ص280.
³ أبو الفضل، تحرير المرأة العربية فلسفة الجندر نموذجاً دراسة في المصطلح والمفهوم، مرجع سابق.
⁴ عدوان، الحركة النسوية الغربية وآثارها في ظل الانفتاح العالمي، مرجع سابق.
⁵ أبو الفضل، تحرير المرأة العربية فلسفة الجندر نموذجاً دراسة في المصطلح والمفهوم، مرجع سابق.
⁶ مصطفى، ناديا. "الأمة الإسلامية في عصر العولمة وقضية المرأة بين التحديات والاستجابات"، مؤتمر: المرأة وتحولات عصر جديد، دمشق، 20-22/4/2002م.
⁷ رشاد، ظاهرة العصبوية النسوية، مرجع سابق، العدد25، ص309-318.
⁸ للاستزادة: الماركسية والنسوية، مركز الدراسات الاشتراكية، الموقع الإلكتروني: www.e-socialists.net
⁹ للاستزادة: مصطلحات نسوية: النسوية الفوضوية النظام الأبوي الرأسمالي، الموقع الإلكتروني: www.annabaa.org/nbanews
¹⁰ جلال، مصطفى. "ما بعد الحداثة النسوية: قراءة في كتاب "الوعاء الزجاجي" لسيلفيا بلاث"، مجلة أفكار، العدد169، 2002م، ص55-63.
عدوان، الحركة النسوية الغربية وآثارها في ظل الانفتاح العالمي، مرجع سابق.

وبالتالي، التشكيك في مفهوم الزواج الشرعي وفظرية العلاقات الأسرية القائمة على ارتباط رجل بامرأة، وهذا ما يبرر شيوع استخدام مصطلح الجندر في مؤتمراتهم ومنها: مؤتمر القاهرة للسكان والتنمية حوالي 50 مرة عام 1994م¹، ومؤتمر المرأة في بكين ما يزيد عن 200 مرة عام 1995م². أما مفهوم الضحية Victim فقام على تعميق الشعور بكرهية الرجل؛ لأن المرأة على حد قولهم (ضحية لوجود الرجل)، وبالتالي، تتخذ الحركات في توجهها آلية الانتقاد للرجل³، مفترضة أن العلاقة بينهما تقتضي تسلط أحدهما على الآخر حسبما نادى به الداروينية الاجتماعية والتي لم تقف عند الحد المذكور بل اعتبرت البقاء للأقوى، تاركة قيم التراحم الإنساني هائمة في حيز الزمان والمكان، فما يسلكه الأقوى هو القيمة المثلى.

2. تيار الجندر النسوي:

ومن أبرز تيارات الحركات النسوية الحديثة وأكثرها تغلغلاً وسطوة: تيار الجندر النسوي Gender Feminism، الذي بدأت إطلالته التسلفية الأولى في مؤتمر القاهرة للسكان والتنمية عام 1994م، وإقراره الحقيقي في مؤتمر المرأة في بكين عام 1995م، والذي بلغت سطوته إلى تغير مفردات ودلالات اللغة بنقل التعريف الأصلي للجندر والذي يعني الفوارق بين الجنسين إلى معنى إلغاء الفوارق تماماً بين الجنسين، وعدم الاعتراف بها أو بما يتبعها من خصائص توزيع أدوار الجنسين في الحياة، وشعاره إعادة صياغة العالم بعيون النساء الذي تبناه مؤتمر المرأة في بكين⁴. واستندت فلسفة الجندر في هذا التيار إلى النظرة الماركسية القائمة على الصراع بين الطبقات، الذي يؤكد أن على المرأة النضال المستمر للقضاء على النظام الأبوي السائد بتسلط الرجل لاسترجاع النظام الأمومي الذي يعيد لها الاعتبار، وفي ضوء ما سبق يمكن استخلاص أبرز مبادئ وأطروحات التيار الجندر النسوي، بما يلي⁵:

- النظرة الفردية المطلقة للمرأة: بمعزل عن السياق الأسري والمجتمعي الذي تعيش فيه، مع إخلائها من كامل المسؤولية تجاه الآخرين (الزوج والطفل...) وبالإمكان القول أن: التيار الجندر النسوي = سياق فردي للمرأة + اللامسؤولية. وعليه، من حقها الكامل اتخاذ قرار الإنجاب أو عدمه دون الرجوع إلى الزوج، وكذا قضية الإجهاض وغيرها.
- القول بتماثل الجنسين: أي المناداة بإلغاء كامل الفوارق بينهما بما فيها الطبيعية وإنكارها والادعاء أن الفوارق بين الرجل والمرأة فيها نوع من التضخيم جراء التربية الاجتماعية، واعتبار الزواج التقليدي على حد زعمهم

¹ أبو الفضل، تحرير المرأة العربية فلسفة الجندر نموذجاً دراسة في المصطلح والمفهوم، مرجع سابق.
² ينظر:

- عدوان، الحركة النسوية الغربية وآثارها في ظل الانفتاح العالمي، مرجع سابق.

³ أبو الفضل، تحرير المرأة العربية فلسفة الجندر نموذجاً دراسة في المصطلح والمفهوم، مرجع سابق.

⁴ عدوان، الحركة النسوية الغربية وآثارها في ظل الانفتاح العالمي، مرجع سابق.

⁵ أبو الفضل، تحرير المرأة العربية فلسفة الجندر نموذجاً دراسة في المصطلح والمفهوم، مرجع سابق.
ينظر:

- أبو الفضل، تحرير المرأة العربية فلسفة الجندر نموذجاً دراسة في المصطلح والمفهوم، مرجع سابق.

- عدوان، الحركة النسوية الغربية وآثارها في ظل الانفتاح العالمي، مرجع سابق.

- رشاد، ظاهرة العصبوية النسوية، مرجع سابق، العدد 25، ص 309-318.

(رجل وامرأة) من أسباب قهر المرأة. وعليه، اختير Gender. بمعنى نوع ليحل محل Sex. بمعنى جنس، إذ الأول محايد في حين الثاني غير محايد، كما ازدري التيار نظرتة إلى وظيفة الأمومة والزوجية والتربية وسائر الأدوار الأسرية للمرأة، واعتبارها ظلم اجتماعي وإعاقة لنهضتها، واعتبارها أدوار هامشية لها وتسلطية من النظام الذكوري.

- المثلية الجنسية أو هوية الجندر Gender Identity: وهي مستندة إلى فلسفة فرويد التي تركز إلى فكرة الحرية في الميول الجنسية، أي: تعدد الهويات الجنسية في الشخص الواحد وأنها غير مرتبطة بالتكوين البيولوجي، مما يعني إطلاق العنان للعلاقات المثلية الشاذة والمطالبة بإقرارها كحق فردي للشخص. وهذا بدوره يقوض البنية الفطرية للأسرة؛ سيما مع تراجع معاني العفة بل وتلاشيها، كما أشارت الداروينية الاجتماعية أن القيم في تطور مستمر وليست ثابتة، وهو ما أيدته ما بعد الحداثة التي اتخذت من التشكيك والثورة على الثبات سبيلها الأول.

- تكريس مفهوم الضحية: باعتبار المرأة ضحية للتسلط الذكوري، سواء كان ذلك ضحية لاغتصابه أو عنفه وتحرشه الجنسي وغيره، لدرجة اعتبروا فيها أن أي علاقة لا تخضع لرغبة المرأة تعد اغتصاباً ولو كانت من قبل زوجها. وهذا يؤكد استناد مثل هذه الحركات إلى دعاوى الداروينية التي افترضت الصراع في العلاقات، والكل يتنافس في الحصول على ما يريد.

- تمكين المرأة: ولكن ليس بالمعنى النبيل الأولي الذي يشير إليه ظاهر الكلمة، وهو رفع كفاءتها والأخذ بيدها؛ لتتمكن من أخذ فرصتها المناسبة في الحياة، وإنما يعني التمكين في سياق التيار الجندري الالتزام بمبدأ منصفة الحصص النسبية بين الرجل والمرأة باعتبار 50% لكل منهما في كل مجالات العمل، مما يعني اتكائها على القرار دون محاولة تطوير كفاءتها.

وتضيف الباحثة أن من أبرز طروحات التيار الجندري النسوي، هو التنميط لجميع الحركات النسوية في العالم، وفرض النموذج الغربي عليها، سيما وأن بروز التيار تزامن مع النظام العالمي الجديد تحت مسمى العولمة، الذي انتهى إلى الجيب الأمريكي، ومحاولة فرض نموذج تلك الدولة على بلاد العالم أجمع. ومما لا ينكر عقلاً أن معاناة المرأة وظروفها تختلف من مجتمع لآخر ومن أيديولوجية لأخرى، وأن فرض رؤية واحدة هي النموذج الغربي والمرأة الغربية على نساء العالم قاطبة -سيما إن تم تصديره إلى مجتمعات مغايرة في الأيديولوجية والمبادئ كالعالم العربي والإسلامي- هي من القصور. يمكن في التعامل مع قضايا المرأة. ويعد أبو البصل إحدى أوجه القصور في النظرة إلى قضايا المرأة في العصر الحديث-بالإضافة إلى فرض النموذج الغربي- ما أسماه "التنازل المنهجي في قضية المرأة" بتحويلها إلى مكاسب محدودة في أدوار يدعى أنها قيادية، وغيرها، نأت بها عن المنطلق الذي أنشئت من أجله¹.

وبعد العرض السابق لأبرز مبادئ التيار الجندري النسوي، ما يزيد الأمر مأساة أنه يستظل برعاية هيئة الأمم المتحدة ووكالاتها، مما يعني امتلاك الأخيرة حق المحاكمة للدولة الموقعة التي لا تلتزم بالتعليمات التي تم بثها بصورة

¹ أبو البصل، عبد الناصر، المرأة في الاتفاقيات الدولية من منظور إسلامي، على شبكة الإنترنت: www.aliftaa.jo/index.php

متنوعة ومسميات براقفة في مؤتمرات المرأة في شتى بلدان العالم باسم تنمية المرأة وحريتها وحقوقها.

ثالثاً: الآثار السلبية للمؤثرات الفكرية على التربية الأسرية وسبل مواجهتها:

1. الآثار السلبية للمؤثرات الفكرية على التربية الأسرية:

إن مفرزات المذاهب والتيارات الفكرية يعد معيقاً أمام التربية الأسرية النموذجية والمنشودة بحق الأسرة الإنسانية، وقد قامت الباحثة بعد النظر في الآثار بتقسيمها إلى ثلاثة أبعاد، يتناول الأول منها الآثار على الأسرة عموماً من حيث: البنية والأيدولوجية والوظائف والأهداف والمنظومة القيمية والأخلاقية والصحة النفسية للأسرة. أما البعدين الثاني والثالث فيتناولوا الأثر على المرأة والأبناء بشكل خاص، بالترتيب المذكور. أ. البعد الأول: الآثار على الأسرة عموماً: تم تقسيم الآثار على الأسرة من حيث ما يلي:

- البنية والأيدولوجية: ويندرج تحت هذا البند ما يأتي:

1. استبعاد المرجعية الدينية أو الاحتكام إليها في كل شؤون الحياة بما فيها الأسرة، سيما وأن نظرية موت الإله وتأليه الإنسان بفكره أو جسده التي أطلقتها التيارات الفكرية أكدت أن الإنسان هو وحده مركز الكون وله السيطرة والملكية المطلقة بلا منازع.

2. استناداً للداروينية الاجتماعية والحركات النسوية، بنيت العلاقة بين الرجل والمرأة في مستوى العلاقة الزوجية على الصراع، فحل النزاع والخصومة محل المودة والرحمة باعتبار أن الصراع والتقدم اللاهائي هما من أبرز صفات الوجود الإنساني.

3. انحسار مشاعر الاحترام بين أعضاء الأسرة الواحدة¹، إذ يفترض كل عضو منهم أن وجود الآخر يفرض عليه علاقة من التصادم والقهر مما يعني اتخاذ الموقف الدفاعي دائماً.

4. تعرض الأسرة للطلاق والتفكك والتفكك بمستوييه: المعلن والمخفي، أو الاجتماعي والنفسي؛ جراء تراجع معاني الثقة وارتفاع نسب الخيانة الزوجية وغيرها.

5. الانفلات والتسيب في العلاقة بين الرجل والمرأة على حساب العلاقات الأسرية المنضبطة، باعتبار ذلك نوع من الحرية الشخصية عبر الدعوة إلى ما يسمونه: "الزواج الحر"، و"الحب المفتوح"، و"الاكتفاء بالجنس المماثل"، و"الزواج المشاعي"، و"العلاقات الحرة"²، وغيرها من المسميات التي لا تحمل إلا معاني الشذوذ ومصادمة الفطرة.

- الوظائف والأهداف: ويندرج تحت هذا البند ما يأتي:

1. ازدياد مؤسسة الأسرة والصورة القانونية أو الشرعية للزواج، واعتبارهما من الأسباب الرئيسة لظلم المرأة

¹ هلال، محمد. "أثر الغزو الفكري على الأسرة المسلمة وكيفية مقاومته"، (رسالة ماجستير، جامعة الأزهر، 2000م)، ص26.
² رشاد، ظاهرة العصبوية النسوية، مرجع سابق، العدد25، ص309-318.

- وقهرها الذي تعرضت له عبر التاريخ، وبذلك نيل من قداسة الأسرة وروابطها المتينة¹، ومما زاد الأمر سوءاً: تعالي الأصوات التي اعتبرت وظيفة الأمومة ورعاية الأسرة صوراً أخرى لظلم المرأة وقهرها.
2. تقنين قضايا الإجهاد والحمل والسفر وغيرها، لتكون قائمة على اعتبار رأي المرأة وحدها دون مشورة الزوج أو من له حق قانوني أو شرعي أو طبي في ذلك؛ لاعتبار مذاهب ما بعد الحداثة والحركات النسوية في النظر إلى الفرد وحده بصورة مطلقة بغض النظر عن مسؤولياته تجاه الآخرين في الأسرة، بل الدعوة إلى الحرية الفردية مدججة مع اللامسؤولية؛ ولذا تعالت أصوات المؤتمرات والاتفاقيات باسم الحقوق وليس الواجبات؛ أي تقديم نظرية الحق على نظرية المسؤولية.
3. الدعوة إلى إلغاء كامل الفوراق بين الرجل والمرأة، بما يعني انتفاء الدور المتوقع لكل عضو في الأسرة، وبالتالي، انتفاء العلاقة التكاملية لأعضائها.
4. انتقال مفهوم السلطة من الأسرة إلى الدولة، بمعنى أن الأخيرة حلت محل الأسرة في صيانة حقوق الآباء والأبناء، مما يعني تدهور مكانة الأسرة، وما تؤديه من وظائف تربوية واجتماعية.

- المنظومة القيمية والأخلاقية: ويندرج تحت هذا البند ما يأتي:

1. النظام الأخلاقي في فلسفة ما بعد الحداثة لا يخضع إلى اعتبارات مطلقة أو معايير ثابتة تأخذ بعين الاعتبار ديانة الشعوب وعاداتها وقيمها، إنما هو نظام مشغول الحيز في إطاره النفعي وليس له معنى ثابت، فقيم الإخلاص والعدالة ليست بالضرورة أن تحمل المعنى الموروث والمتعارف عليه بين الناس، إنما توظف في بعدها النفعي البحث من وجهة نظر الشخص وليس الجماعة²، على ألا يعيب أحد على أحد فيما ارتضى واختار.
2. إطلاق العنان للغرائز والشهوات، والتحول من مركزية العناية بالإنسان وفكره إلى تلبية حاجات لذته وجسده، مما يؤثر على قضايا أسرية دقيقة مثل: اختيار زوج المستقبل والتعامل معه ليكون بعيداً عن توجيهات الدين والأخلاق ملتصقاً بلذة الجسد والشكل، سيما وأن داروين أكد لهم أن الإنسان انحدر من أصل حيواني هو القرود.
3. رفض مسمى رجل وامرأة، أو ذكر وأنثى واعتبار ذلك نوع من التعصب اللامحمود، بل الإنسانية هي النوع فقط وأسموه الجندر، وبرأيهم أن ما سبق من مسميات رجل وامرأة تدرج ضمن البنية اللغوية التي وقفت التربية الاجتماعية عائقاً أمام حرية الأفراد في تفسير مرادها. إذ لا توجد حقيقة ثابتة أو مسلمة، فالحقائق يصوغها الإنسان بنفسه ويختار منها ما يناسبه ويتوافق معه وإن كانت في منتهى الانحراف والشذوذ³.

¹ المرجع السابق، العدد 25، ص 309-318.

² الفحطاني، مسفر بن علي. "القيم في مرحلة ما بعد الحداثة: قيم العمل اليابانية أمودجاً"، الندوة الدولية الرابعة بعنوان: الحداثة والقيم غي عالم متغير، أقيمت في مركز الأمير عبد المحسن بن جلوي للبحوث والدراسات الإسلامية بالشراكة مع معهد سيمور المتميز في اليابان، الشارقة، الإمارات، 30/أبريل/2012م.

³ الفحطاني، القيم في مرحلة ما بعد الحداثة: قيم العمل اليابانية أمودجاً، مرجع سابق.

- الصحة النفسية للأسرة: ويندرج تحت هذا البند ما يأتي:

1. إن ما سبق ذكره من شذوذ العلاقات خارج إطار الأسرة سواء المثلي أو غير المثلي، ما هو إلا مصادمة حقيقية للفظرة أفقدت العلاقات الأسرية معناها، ولا ينكر تأثير ذلك على الصحة النفسية لأفرادها، سيما إن تزامن هذا وأضيفت إليه الخيانات الزوجية والصراع، ولا يتسع المقام لذكر حالات الجرائم الأسرية.
2. العنف: استبدلت أساليب المودة والسكينة بالعنف والشدة، لما يخبؤه كل طرف للآخر؛ لأن الحياة ما هي إلا معركة، المنتصر فيها هو المسيطر، والذي لا يمثل إلى الآخر إلا بمقدار ما يحقق له ذاك الامتثال من انتصار جديد؛ فالبقاء للأقوى. وبات العنف ضد الرجل محل حوار ومبحث بعد أن كان العنف ضد المرأة هو المحور، فقد وقعت المرأة في شباك ما كانت تطلب دفعه عنها.

ب. البعد الثاني: المرأة: ويندرج تحت هذا البند ما يأتي:

- الانتقال بوظائف المرأة الفطرية التي يعمر الكون بها وهي الأمومة والزوجية الصالحة إلى مجرد موظفة في مصانع التجار ومروجة للإعلانات التجارية، وإن تسمت بأسماء وهمية مكذوبة في المنصب والمكانة.
- انحدار المعاني النفيسة للمرأة بكل ما تحمله أنوثتها من معان إلى شخصية متشنجة تنظر إلى نفسها بعين الضحية والمظلومة دائماً، وبالتالي، استلاب حقها من الرجل بغض النظر عن الكم والكيف.
- التبرير الدارويني للتفاوت الطبقي بين الناس، وحق الأقوى في السيطرة على الأضعف مع عدم الشفقة على الأخير حفز المرأة ودفعها لاستئراج أكبر قدر ممكن من المال بأي طريقة كانت؛ حتى لا تندرج ضمن الطبقة المنكوبة التي تستحق الموت إن لم تقوى على مواجهة صعاب الحياة وحدها، دون أية معونة أو كفالة من أحد، حتى وإن كان الثمن عرضها الثمين الذي بات باباً من أبواب ارتزاقها؛ بخلاف المثل العربي القائل: تجوع الحرة ولا تأكل بنديها.
- استبدلت بذلك المرأة الحرية الحقيقية التي طالبت بها بما يسميه البعض "إحساس الحرية"¹، والأخير ما هو إلا حالة نفسية كاذبة من الوعود التي أخرجت المرأة من بيتها وأطاحت بمهامها الأسرية.
- إن الانعتاق في فلسفة ما بعد الحداثة لا تكمن في العدالة الاجتماعية والدخل الاقتصادي، إنما بالقدرة على التعبير عن كامل الرغبات وإن خالفت منظومة المجتمع وقيمه وحاولت الأخيرة قمعها؛ لذا، يرون قمة الانعتاق في تحقيق اللذة. فبات الشذوذ الجنسي² بكافة أشكاله أعلى درجات الانعتاق، واستخدمت فيه المرأة لتكون المروج لإعلام السحت وتحقيق لذة الانحراف.
- إن تحول النظام العالمي "الإمبريالي"³ من القديم الذي ركز على موازين القوى والرعب بدعم من المنظومة الداروينية إلى منظومته الجديدة استناداً إلى قيم ما بعد الحداثة في اعتبار الإنسان والعالم مادة استعمالية، تحركه

¹ رشاد، ظاهرة العصبوية النسوية، مرجع سابق، العدد 25، ص 309-318.

² المسيري، والتركي، الحداثة وما بعد الحداثة، مرجع سابق، ص 91.

³ "الإمبريالية"، هي: سياسة توسيع السيطرة، أو السلطة على الوجود الخارجي، وتكون هذه السيطرة عن طريق السياسية أو الاقتصاد أو غيره... (المحرر).

الدوافع المادية وأبرزها الاقتصاد والجنس، حيث يعد البحث عنهما المرجعية النهائية والوحيدة لوجوده، وعليه، يتم ترشيد العالم لتحويله إلى مصنع وسوق وملهى ليلي وهو ما أسماه المسيري "الاستهلاكية العالمية"، فالعالم بذلك يتحول إلى ساحة كبيرة تحكمها قوانين العرض والطلب، ولتحقيق ذلك، فإن الحل الأمثل -من وجهة نظرهم- هو: استخدام الإغراء والإغواء للشعوب في سبيل التفكيك سواء للقيم أو المرجعيات، حيث يستفاد من التفكيك لضرب التماسك سيما لأول مؤسسة اجتماعية وهي الأسرة، فيضمن الانحدار إلى اللاهوية وانتهاء المرجعيات¹، واعتبار المرأة- سواء وعت ذلك أم لم تعي- هي المنفذ الأول لسياسات الإغراء والإباحية التي امتلأت بها شاشات السينما والعرض العالمية مثل الإنترنت؛ بالإضافة إلى ثقافة العري والتعري باعتبارها أبسط حقوق المرأة، بل وسبيلها للحصول على الجوائز العالمية مثل الأوسكار وغيرها، وهذا ما يفسر عظم الأصوات وعلوها التي التفت حول الحركات النسوية "الفيمتزية" للمطالبة بالمساواة المطلقة، والحقيقة المرادة هي التسوية أي تسوية الإنسان بكل شيء في العالم بما فيها الحيوانات؛ لتكون المادة وحدها دون غيرها، وبذلك تعلن ما بعد الحداثة موت الإنسان بعد أن أعلنت التيارات الفكرية التي سبقتها موت الإله.

ت. البعد الثالث: الأبناء: ويندرج تحت هذا البند ما يأتي:

1. ضياع الطفولة البرئية بين أزقة الشوارع ووسائل الإعلام بغتها وسمينها؛ لغياب التربية الأسرية الحقيقية.
2. التشرذ المعنوي والحقيقي للأبناء، بعيداً عن الأب والأم الفعليين.
3. إجهاض الأجنة وإزهاق الأرواح البرئية للطفولة قبل قدومها.
4. حضور الأمية الدينية والتربوية لدى الآباء؛ مما يعني أن الأسرة لم تعد المصدر الرئيس للتربية والتوجيه واستقاء المعاني الفاضلة، بالإضافة إلى تراجع مراقبة الآباء للأبناء.
5. اتساع الفجوة بين الآباء والأبناء في الفكر والممارسة.
6. تمرد الأبناء على قيم الأسرة الفاضلة في الإنشاء والضبط والشكل؛ باعتبارها على حد تعبيرهم باتت تقليدية وتعيق حركة الحضارة والمدنية.
7. توجه الأبناء إلى اللاهوية سواء بمعانيها الشخصية أو الثقافية، مما أحدث الانشقاق الواضح والحقيقي بين ما يدعيه الفكر وما يصدقه السلوك.

2. سبل المواجهة:

بالإمكان تقديم جملة من المقترحات لمواجهة الآثار السلبية التي أفرزتها التيارات الفكرية باعتبارها تحدٍ، وإعادة الاعتبار للأسرة في عالم تسارعت فيه المتغيرات وعظمت فيه التحديات، تلخص بما يأتي:

أ. سبل المواجهة حلقات متداخلة ومتكاملة، تبدأ بالفرد وتنتهي بالأمة وبينها مسيرة تظافر جميع مؤسسات المجتمع وفي مقدمتها التربية. وعليه، لا بد من تداعي مؤسسات المجتمع الرسمية والمهنية لإعداد خطط ممنهجة في تشخيص التحديات الموجهة للأسرة وعلاجها.

¹ المسيري، والتريكي، الحداثة وما بعد الحداثة، مرجع سابق، ص 166-174.

ب. سلاح المواجهة الرئيس التربية، ومطلوب منها بناء إنسان قادر على مواجهة التحديات، حيث الأخيرة في العصر الحاضر منطلقها أيديولوجي يستهدف الفكر في الدرجة الأولى؛ مما يزيد مسؤولية المؤسسات التربوية في تصفية الفكر الوارد وبناء فكر جديد. وعليه، لابد من إبراز جهود مؤسسات التعليم في إعادة النظر في المناهج التعليمية من حيث الأهداف والمحتوى والوسائل.

ت. المسلم مطالب أمام هذه المذاهب والتيارات الفكرية أن يعي بها أولاً؛ حتى يمد نفسه بطاقة صمود وقدرة على المغالبة والمقاومة، وهذا ترجمة لقانون الفعل في مواجهة التحديات ضمن ثلاث خطوات: الإدراك ثم الانفعال ثم السلوك العملي أو التحرك، وهي على الترتيب إدراك التحدي وفهمه-كمؤتمنا هذا- ليتولد عنه انفعال يدفعنا للتحرك الإيجابي والفاعل نحو مواجهته، وبذلك ندرك الحكمة في قوله تعالى: (وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْتَضُوهُ لِيُتَفَرِّقُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ) (الأنعام: ١١٣).

ث. الانتقال من مرحلة الاكتفاء بالدفاع عن قضايا المرأة والأسرة لحظة الهجوم إلى لحظة المبادأة بتقديم النموذج الإسلامي النظري والعملي للأسرة المنشودة. وعليه، فالمطلوب من جمعيات المرأة وسائر المؤسسات المعنية أن تتداعى لبناء مشاريع ترفع من سوية المرأة، وتؤكد قداسة وظائفها في الأمومة والتربية.

ج. تفعيل مشاريع التوعية الأسرية، سيما الموجهة للمرأة بكافة الإمكانات المتاحة: (مؤتمرات، ندوات، مواقع إلكترونية وغيرها)؛ ليتسنى رسم حقيقة الصورة والموقع الفطري للمرأة في الأسرة والمجتمع.

ح. الانتقال من مرحلة التنظير إلى مرحلة التطبيق بإلزام الشباب الجامعي والمقبلين على الزواج بدورات تثقيفية أسرية تطرح من منظور إسلامي. وكذا تفعيل التخصصات الجامعية المتعلقة بالأسرة والدراسات الأسرية، سواء على مستوى جعل مساق الأسرة إحدى المواد الإلزامية في الجامعة أو على مستوى توفير الكفاءات المتخصصة.

خ. العمل على تحويل الإعلام من وظيفته الترفيهية والتدجينية بما يتوافق مع قيم النظام العالمي الجديد إلى الإعلام الهادف، وتفعيل وثيقة الشرف القانونية بما يتعلق بوسائل الإعلام؛ وذلك بمخاطبة مالكي القنوات وصناع القرار فيها لتوظيف سائر وسائل الإعلام وسبل الاتصال على المستوى الداخلي بالتثقيف والتوجيه والتوعية الأسرية، والمستوى الخارجي في تقديم النموذج المطلوب.

خاتمة:

هدفت الدراسة إلى بيان انعكاسات المؤثرات الفكرية على التربية الأسرية واقتراح سبل المواجهة. وفي ضوء ما سبق تم التوصل إلى عدد من الاستنتاجات، منها: أن التربية الأسرية تعبر عن جهود مخططة بصورة مقصودة على المستوى الفردي والمؤسسي؛ بهدف تنمية سلوك الفرد وترقيته؛ بما يمكنه من القيام بمسؤولياته وأدواره المنوطة به في أسرته الحالية والمستقبلية، وبما يبوؤه مكانته الفطرية في الأسرة، كما تعد تيارات: الداروينية، وما بعد الحدائثة، والحركات النسوية المعاصرة من أبرز المؤثرات الفكرية التي تعيق التربية الأسرية المنشودة، سواء على مستوى

العلاقات الأسرية عموماً في البنية والوظائف والمنظومة القيمية والأخلاقية والصحة النفسية، أم على المستوى الخاص الذي يشمل المرأة والأبناء، وقد تم تمرير طروحات التيارات الفكرية وأيديولوجيتها بمسميات براقية مثل: تنمية المرأة وتمكينها، وتلك المسميات المذكورة كقيلة لاستحجار المرأة، سيما في العالم العربي والإسلامي للانسياق وراءها دون وعي. وما يلفت النظر أن التيارات الفكرية المطروحة قد سبقت دراستها في محتواها السياسي والاستراتيجي والتاريخي من قبل العديد من الباحثين، إلا أنها لم تبحث بالقدر الكافي في التأثير على الأسرة وتسليط الضوء على الأخيرة تحديداً، وهو ما تمت معالجته في الدراسة الحالية.

وتبين أن سبل المواجهة لا تقف عند حد التنظير بل تتعداها إلى ضرورة تداعي مؤسسات المجتمع بشقيها الرسمية والمدنية ومنها الإعلام ومؤسسات التعليم وصناع القرار؛ لوضع خطط ممنهجة ومدروسة تتحسس الأخطار وتضع برامج المواجهة، وكذا، ضرورة النظر في إعادة صياغة المناهج التعليمية من حيث الرؤى والأهداف والمحتوى برؤية تتفق مع إعداد جيل يدرك أهمية الأسرة، ويرى ضرورة الحصانة الشرعية لها في الإنشاء والضبط. وعليه، توصي الباحثة بضرورة تناول تيارات نسوية أخرى من تيارات النسوية الحديثة أو المعاصرة غير تيار الجندر النسوي، وتتبع أفكارها وآثارها على المرأة والأسرة والطفولة.